

أكلة لحوم البشر

على وفق تقرير منظمة الصحة العالمية (المكتب الإقليمي للشرق الأوسط) تعد فيروسات كورونا حيوانية المصدر، ويعني ذلك أنها تنتقل بين الحيوانات والبشر. وتوصلت الاستقصاءات المستفيضة إلى أن فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (سارس) قد انتقل من سناير الزباد إلى البشر، بينما انتقل فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية من الجمال الوحيدة السنام إلى البشر. وينتشر العديد من فيروسات كورونا المعروفة بين الحيوانات، ولم تُصيب البشر بعد.

في مقطع من كتاب الفكر البري (The Savage Mind) الذي غالباً ما يقرأ بإعجاب وارتياح، رسم كلود ليفي ستروس (Cl. Strauss) تبايناً بين اجتماعية الطيور، بوصفها "المجازية"، واجتماعية الأبقار، بوصفها "الكنائية"¹. اذ تصف مصطلحات المجاز والكناية اللغوية المسافات والمجاورة في العلاقات بين البشر والحيوانات. ويقول إن الطيور تشكل مجتمعاً محلياً مستقلاً عن مجتمعنا، ولكن على وجه التحديد بسبب هذا الاستقلال، يبدو لنا مثل مجتمع آخر، مماثل للمجتمع الذي نعيش فيه: تحب الطيور الحرية؛ وتبني لأنفسها بيوتاً وتعيش في حياة أسرية وترعى صغارها؛ وغالباً ما تتخبط في علاقات اجتماعية مع أعضاء آخرين من فصيلتها؛ وتتواصل فيما بينها بالوسائل الصوتية عند استدعاء اللغة المنطوقة. قد يحتفظ هذا الوصف بلغة أوائل الستينات من القرن العشرين لارتباطه بممارسات الأمن البيولوجي الحالية في إدارة الأمراض المنقولة بين الحيوانات والبشر، أو الأمراض الحيوانية المصدر.

حينما يبرز كائن للظهور، مثل الأمراض أو الأطفال حديثي الولادة، يضطر البشر إلى تحريف تصنيفهم له بمنحه عنواناً أو اسماً. وابتاع هذه الطريقة، يمكن للمرء أن يسأل: ما الفرق بين اجتماعية الطيور واجتماعية الماشية فيما يرتبط بالأمراض المعدية المستجدة؟ وكيف تعيد الأمراض المستحدثة تشكيل متشابكات معقدة من الحرية والرعاية في العلاقات بين الإنسان والحيوان؟ وهل تجسد فكرة الحرية المجردة، السياسية للغاية، الحياة الاجتماعية للطيور المهددة للإنسان بالأمراض المستجدة، أم أنها مرتبطة جداً بالمكان البشري لعملية التدجين؟

قدم ستروس إجاباته عن هذا السؤال عندما كتب عن حالة مرض جنون البقر في عام (١٩٩٦). اذ بعد الإعلان العام عن انتقال متغير جديد من مرض كروتزفيلد جاكوب (Creutzfeldt-Jakob) من الأبقار إلى

¹ Leach, Edmund 1970 *Le vi-Strauss*. Paris: Seghers. Le vi-Strauss, Claude 1966 *The Savage Mind*. London: Weidenfeld and Nicolson.

البشر، عكس ستروس الفكرة السائدة عند القول بأن الأبقار قد تحولت إلى "أكلة لحوم البشر" من خلال إعادة تدوير المواد الغذائية الحيوانية، التي تعد عاملاً رئيساً في انتشار المرض. استعمل ستروس مصطلح آكلي لحوم البشر -الذي صيغ في القرن السادس عشر لإعطاء معنى للمواجهة غير المتوقعة بين أوروبا وأمريكا - وقد يدفعك هذا الاقتراح للشعور بالاشمئزاز: إذا كانت الأبقار قد تحولت من الحيوانات العاشبة إلى آكلات اللحوم، فإن مرض جنون البقر قد كشف عن تحولها إلى مسخ بعيد عن الطبيعة. لم يكن لدى ستروس مصلحة في التقابل الفج بين الأبقار أكلة اللحوم والأبقار الطبيعية. عندما ناقش درسه عام (١٩٧٤) في كوليج دو فرانس، بأن أكل لحوم البشر يشكل نقيض التواصل في تدرج عملية المؤانسة، وأن التناول للآخر كان طريقة التعرف عليه أو عليها في عكس عملية التواصل. قاده ذلك إلى الادعاء الاستفزازي في عام (١٩٩٣) بأنه "كلنا أكلة لحوم البشر"، وهذا يعني أن أكل لحوم البشر، بوصفه شكل من أشكال التماهي مع الآخر، الذي يمثل ظاهرة عادية. وبالتالي يمكن فهم التمييز الذي يحدده بين نوعين من الأبقار كحل طوباوي (متخيل أو وهمي) لمرض جنون البقر. عد البعض منها، كآلات أو مكائن لإنتاج اللحوم، على أن تعود إلى النظام الغذائي النباتي. البعض الآخر، الذي لا يزال يتغذى على البروتينات الحيوانية، بادعاء استعمالها في "الترصد لمصادر الطاقات والآلات"، ويتم أكلها بنفس التقدير كالأعداء الذين اعتبرهم الهنود الأمريكيون حراساً للحيوانات البرية^٢. بدلاً من التضاد الاعلامي بين الأبقار الطبيعية والأبقار المسخة، يقترح ستروس الاستمرارية في نماذج المماثلة بين البشر والأبقار. وأريد من هذا الاقتراح الاستفزازي لأجل التفكير في العلاقات بين الطيور والبشر. بالعودة إلى الوراء قليلاً، اللافت أن أنفلونزا الطيور ظهرت في آسيا في الوقت الذي نشب فيه مرض جنون البقر في أوروبا. أثار مرض أنفلونزا الطيور بوصفه مرضاً مستجداً، نفس السيناريوهات الكارثية لجزيئات البريون البروتينية (Prion) المسببة للعدوى الذي تم تخفيف عدم اليقين به باستعمال المبدأ الوقائي. وأظهرت وسائل الإعلام صوراً مشابهة للجثث والحيوانات التي قتلت لاجتثاث مستودع الأمراض الحيوانية، مما أثار نفس الشعور المعقد بالرحمة والاشمئزاز. وتكشف مسببات الأمراض التي تعبر الحدود بين الفصائل عن هويات واختلافات بين البشر والحيوانات الأخرى.

² Claude Lévi-Strauss 2016 trans. Jane Marie Todd, We Are All Cannibals: And Other Essays, Columbia University Press books, USA. : pp112-115